هذه الأشياء من حيث إنها فعل الله وصنعه، استفاد المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته، ومن قصر النظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض، لا من حيث ارتباطها بمسبب الأسباب، شقي. نعوذ بالله من مزلة أقدام الجهال، ومن الركون إلى أسباب الضلال.

الموت

س: وضح أهمية ذكر العبد للموت وآثره على الحياة؟

ج: اعلم: أن المنهمك في الدنيا المكب في غرورها، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره، وإن ذكره كرهه ونفر منه، ثم الناس إما منهمك، أو تائب مبتديء، أو عارف منتبه. فأما المنهمك فلا يذكره، وإن ذكره فيذكره لتأسف على دنياه، ويشتغل بذمه، وهذا لا يزيده ذكر الموت من الله تعالى إلا بعدًا.

وأما التائب، فإنه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية، فيفي بتمام التوبة، وربما يكره الموت خيفة أن يختطفه قبل تمامها أوقبل إصلاح الزاد، وهومعذور في كراهة الموت. ولا يدخل بهذا تحت قوله ﷺ: «**من كره لقاء الله كره الله لقاءه**» [أخرجه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (١٥٧)، من حديث عائشة ﵂]. فإنه إنما يخاف لقاء الله لقصوره وتقصيره، فهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلًا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه، فلا يعد كارهًا للقائه، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له، لا شغل له سواه، وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا. وأما العارف، فإنه يذكر الموت دائمًا، لأنه موعد لقاء الحبيب، وهو لا ينسى موعد لقاء حبيبه. وهذا في غالب الأمر يستبطئ مجيء الموت. ويحبه ليتخلص من دار العاصين، وينتقل إلى جوار رب العالمين، كما قال بعضهم: حبيب جاء على فاقه. فإذن التائب معذور في كراهة الموت، وهذا معذور في حب الموت وتمنيه، وأعلى منهما من فوض أمره إلى الله

تعالى، فصار لا يختار لنفسه موتًا ولا حياة، بل تكون الأشياء إليه أحبها إلى مولاه، فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضى، وهوالغاية والمنتهى. وعلى كل حال، ففي ذكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك في الدنيا قد يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا، لأن ذكره ينغص عليه نعيمه ويكدره.

س: اذكر بعض ما ورد في فضل ذكر الموت؟

ج: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت**». وعن ابن عمر ﷺ: أن النبي ﷺ سئل: أي المؤمنين أكيس، قال: أكثرهم للموت ذكرًا وأشدهم استعدادًا له أولئك هم الأكياس» [أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٩)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٨٦٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٩٣)، (١٠٥٥٠)، وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٣٨٤)]. وقال الحسن البصري: «**فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فيها فرحًا، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها**».

«**وكان ابن عمر ﷺ إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة**». وكان حامد القيصري يقول: «**كلنا قد أيقن الموت، وما نرى له مستعدًا، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملًا، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفًا، فعلام تفرحون؟! وما عسيتم تنتظرون؟! الموت، فهو أول وارد عليكم من أمر الله بخير، أو بشر، فيا إخوتاه! سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا**».

وقال سميط بن عجلان: «**من جعل الموت نصب عينيه، لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها**». واعلم: أن خطر الموت عظيم، وإنما غفل الناس عنه لقلة فكرهم وذكرهم له، ومن يذكره منهم إنما يذكره بقلب غافل، فلهذا لا ينجع فيه ذكر الموت، والطريق في ذلك أن يفرغ العبد قلبه لذكر الموت الذي هو بين يديه، كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة خطرة، أويركب البحر، فإنه لا يتفكر إلا في ذلك. وأنفع طريق في ذلك ذكر

أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله، فيذكر موتهم ومصارعهم تحت الثرى. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**السعيد من وعظ بغيره**» [أخرجه مسلم (٢٦٤٥)]. وقال أبوالدرداء رضي الله عنه: «**إذا ذكر الموتى، فعد نفسك كأحدهم**». وينبغي أن يكثر دخول المقابر، ومتى سكنت نفسه إلى شيء في الدنيا، فليتفكر في الحال أنه لابد من مفارقته، ويقصر أمله. وقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل**» [أخرجه البخاري (٦٤١٦)].

وكان ابن عمر يقول: «**إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك**». وعن أبي زكريا التيمي قال: «**بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام، إذ أتي بحجر منقوش، فطلب من يقرأه، فإذا فيه: ابن آدم! لورأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنم يلقاك ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الولد والنسب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة**».

س: ما هي أسباب طول الأمل؟

ج: السبب في طول الأمل شيئان: أحدهما: حب الدنيا، والثاني: الجهل.

أما حب الدنيا فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها، ثقل على قلبه مفارقتها، فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئًا دفعه عن نفسه، والإنسان مشغول بالأماني الباطلة، فيمني نفسه أبدًا بما يوافق مراده من البقاء في الدنيا، وما يحتاج إليه من مال وأهل ومسكن وأصدقاء وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفًا على هذا الفكر، فيلهو عن ذكر الموت، ولا يقدر قربه، فإن خطر له الموت في بعض الأحوال والحاجة إلى الاستعداد له، سوف بذلك

ووعد نفسه، وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب. وإذا كبر قال: إلى أن يصير شيخًا، وإن صار شيخًا، قال: إلى أن يفرغ من بناء هذه الدار، وعمارة هذه الضيعة، أويرجع من هذه السفرة. فلا يزال يسوف ويؤخر، ولا يحرص في إتمام شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال، وهكذا على التدريج يؤخر يومًا بعد يوم، ويشتغل بشغل بعد شغل، إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه، فتطول عند ذلك حسرته. وأكثر صياح أهل النار من «**سوف**» يقولون: واحسراتاه! من «**سوف**». وأصل هذه الأماني كلها، حب الدنيا والأنس بها، والغفلة. السبب الثاني: الجهل، وهو أن الإنسان يعول على شبابه، ويستبعد قرب الموت مع الشباب، أو ليس يتفكر المسكين في أن مشايخ بلده لوعدوا كانوا أقل من العشر؟ وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر، وإلى أن يموت شيخ قد يموت ألف صبي وشاب، وقد يغتر بصحته، ولا يدري أن الموت يأتي فجأة، وإن استبعد ذلك، فإن المرض يأتي فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدًا، ولو تفكر وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص، من صيف وشتاء وربيع وخريف وليل ونهار، ولا هو مقيد بسن مخصوص، من شاب وشيخ أوكهل أوغيره، لعظم ذلك عنده واستعد للموت.

س: ما هي أحوال الناس مع طول الأمل؟

ج: الناس متفاوتون في طول الأمل تفاوتًا كثيرًا، منهم من يأمل البقاء إلى زمان الهرم، ومنهم من لا ينقطع أمله بحال، ومنهم من هو قصير الأمل، فروي عن أبي عثمان النهدي أنه قال: «بلغت ثلاثين ومائة سنة، وما من شيء إلا قد عرفت فيه النقصان إلا أملي فإنه كما هو».

وحكي في قصر الأمل أن امرأة حبيب أبي محمد قالت: «**كان يقول لي - يعني أبا محمد - إن مت اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني ويفعل كذا وكذا، واصنعني كذا وكذا، فقيل لها: أري رؤيا؟ قالت: هكذا يقول كل يوم**».

وعن إبراهيم بن أسباط قال: «**قال لي أبوزرعة: لأقولن لك قولًا ما قلته لأحد سواك: ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة، فحدثتني نفسي أن أرجع إليه**». وقيل لبعضهم: ألا تغسل قميصك؟ قال: الأمر أعجل من ذلك.

وعن محمد بن أبي توبة قال: «**أقام معروف الكرخي الصلاة ثم قال لي: تقدم، فقلت: إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها، فقال معروف: أنت تحدث نفسك أنك تصلي صلاة أخرى؟ نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل**».

فهذه أحوال الزهاد في قصر الأمل، وكلما قصر الأمل، جاد العمل، لأنه يقدر أن يموت اليوم، فيستعد استعداد ميت، فإذا أمسى شكر الله تعالى على السلامة، وقدر أنه يموت تلك الليلة فيبادر إلى العمل.

وقد ورد الشرع بالحث على العمل والمبادرة إليه ففي «**صحيح البخاري**» عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ**» [أخرجه البخاري (٦٤١٢)].

وعنه: أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**» [أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٤٦)، من حديث ابن عباس ﷺ، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٠٧٧)].

وقال عمر ﷺ: «**التؤدة في كل شيء خير، إلا ما كان من أمر الآخر**». وكان الحسن يقول: «**عجبًا لقوم أمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم على آخرهم، وهم قعود يلعبون**». وقال سحيم مولى بني تميم: «**جلست إلى عبد الله بن عبد الله، فأوجز في صلاته، ثم أقبل علي وقال: أرحني بحاجتك، فإني أبادر، فقلت: وما تبادر؟ قال: ملك الموت. وكان يصلي كل يوم ألف ركعة**».

وكانوا يبادرون بالأعمال غاية ما يمكن، «**فكان ابن عمر يقوم في الليل فيتوضأ**

ويصلي، ثم يغفي إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، ثم يغفي إغفاء الطير، ثم يقوم يصلي، يفعل ذلك مرارًا». «**وكان عمير بن هانئ يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة**»، وقال أبوبكر بن عياش: «**ختمت القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة**».

س: اذكر بعض ما ورد في شدة الموت وما يستحب من الأحوال عنده؟

ج: لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب، ولا هول سوى الموت، لكان جديرًا أن يتنغص عليه عيشه، ويتكدر عليه سروره، وتطول فيه فكرته. والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات، فانتظر أن يدخل عليه جندي يضربه خمس ضربات، لكدرت عليه عيشه ولذته، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع، وهو غافل عن ذكر ذلك، وليس لهذا سبب إلا الجهل والغرور.

اعلم: أن الموت أشد من ضرب السيف، وإنما يصيح المضروب، ويستغيث لبقاء قوته، وأما الميت عند موته، فإنه ينقطع صوته من شدة ألمه، لأن الكرب قد بالغ فيه، وغلب على قلبه وعلى كل موضع منه، وضعفت كل جارحة فيه، فلم يبق فيه قوة لاستغاثة، ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة. وتُجذب الروح من جميع العروق، وتموت كل عضو من أعضائه تدريجيًا، فتبرد أولًا قدماه، ثم ساقاه، ثم فخذاه، حتى تبلغ الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره إلى الدنيا وأهلها، ويغلق دونه باب التوبة، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقبل التوبة من العبد ما لم يغرغر**» [أخرجه أحمد في مسنده (٦١٢٥)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٩٠٣)]. وفي «الصحيحين» من حديث عبادة بن الصامت: قال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، وأما صاحب النار الذي ختم له بسوء فهو يبشر بها وهوفي تلك الأهوال**» [أخرجه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (١٥٧)].

وقد كان كثير من السلف يخافون سوء الخاتمة، وقد ذكرنا ذلك في كتاب الخوف،

وهو لائق بهذا المكان، نسأل الله أن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، وأن يلطف بنا، وأن يختم لنا بخير إنه جواد كريم. وأما ما يستحب من الأحوال عند المتحضر، فأن يكون قلبه يحسن الظن بالله تعالى، ولسانه ينطق بالشهادة، والسكون من علامات اللطف، وهو أمارة على أنه قد رأى الخير، وقد روي أن روح المؤمن تخرج رشحًا. ويستحب تلقينه: لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث الصحيح من رواية مسلم: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**» [أخرجه مسلم (٩١٦)]. وينبغي للملقن أن يرفق به، ولا يلح عليه.

وفي الحديث الصحيح: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**» [أخرجه مسلم (٢٨٧٧)]. وروي أن النبي ﷺ دخل على رجل وهو يموت فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي. فقال: «**ما اجتمعتا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجو، وأمنه من الذي يخاف**» [أخرجه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١)، وصححه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» برقم (٣٨٢٨)]. والرجاء عند الموت أفضل، لأن الخوف سوط يساق به، وعند الموت يقف البصر، فينبغي أن يتلطف به، ولأن الشيطان يأتي حينئذ بسخط العبد على الله فيما يجري عليه، ويخوفه فيما بين يديه، فحسن الظن أقوى سلاح يدفع به العدو.

وقال سليمان التيمي لابنه عند الموت: «**يا بني! حدثني بالرخص، لعلي ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به**».

س: كيف كانت وفاة رسول الله ﷺ؟

ج: اعلم: أن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في كل أحواله، ومعلوم أنه ليس في المخلوقين أحد أحب إلى الله تعالى منه، ولم يؤخره الله تعالى حين انقضى أجله. وقد لقي ﷺ من الموت شدة، فروى البخاري في «صحيحه» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان بين يدي رسول الله ﷺ ركوة فيه ماء، فجعل يدخل يده في الماء، فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات**» [أخرجه البخاري

(٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠)].

وقال أبو بكر ﷺ:

لما رأيت نبينا متجندلاً ... ضاقت علي بعرضهن الدور

وارتعت روعة مستهام واله ... والعظم مني واهن مكسور

أعتيق ويحك إن حبك قد ثوى ... وبقيت منفردًا وأنت حسير

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي ... عيبت في جدث علي صخور

س: اذكر ما ورد في وفاة أبي بكر الصديق ﷺ؟

روي أبو المليح أن أبا بكر ﷺ لما حضرته الوفاة أرسل إلى عمر ﷺ فقال: «**إني أوصيك بوصية، إن أنت قبلت عني: إن لله ﷻ حقًا بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله حقًا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقلت ذلك عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلًا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل، وخفته عليهم في الدنيا، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفًا**.

ألم تر أن الله أنزل آية الرجاء عند آية الشدة، وآية الشدة عند آية الرجاء، ليكون العبد راغبًا راهبًا لا يلقي بيديه إلى التهلكة، ولا يتمنى على الله غير الحق. فإن أنت حفظت وصيتي هذه، فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت، ولابد لك منه، وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت، ولابد لك منه ولست تعجزه».

«وقيل لما احتضر جاءت عائشة ﷺ فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]. انظروا ثوبي هذين، فاغسلوهما وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت».

س: وماذا عن وفاة عمر الفاروق رضي الله عنه؟

ج: عن ابن عمر قال: «**كان رأس عمر في حجري بعد ما طعن، وكان مرضه الذي توفي فيه، فقال: ضع خدي على الأرض، فقلت: وما عليك إن كان في حجري أم على الأرض؟ وظننت أن ذلك تبرم به، فلم أفعل، فقال: ضع خدي على الأرض لا أم لك، ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي**».

وروي أنه لما طعن وحمل إلى بيته، وجاء الناس يثنون عليه، جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله لك، صحبة من رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، فقال: «**ودت أن ذلك كان كفافًا، لا لي ولا علي**»، ثم قال: **يا عبد الله بن عمر، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: عمر يقرأ عليك السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن عند صاحبيه، فمضى وسلم واستأذن عليها، ثم دخل فوجدها قاعدة تبكي، فقال: عمر يقرأ عليك السلام، ويستأذن أن يدفن عند صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، لأوثرنه اليوم على نفسي.**

فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما وراءك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين؛ أذنت. قال: الحمد لله، ما كان شيء أحب إلي من ذلك، فإذا أنا مت فاحملوني، ثم سلم، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت، فأدخلوني، وإن ردتني، فردوني إلى مقابر المسلمين» [أخرجه البخاري (٣٧٠٠)].

وفي أفراد مسلم من حديث المسور بن مخرمة، أن عمر قال: «**والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا، لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه**».

وفي خبر آخر: «والله لوأن لي ما طلعت عليه الشمس أوغربت، لافتديت به من هول المطلع».

س: اذكر بعض ما ورد في وفاة عثمان رضي الله عنه؟

ج: عن نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان رضي الله عنه، قالت: «لما كان اليوم الذي قتل فيه عثمان، ظل في اليوم الذي قبله صائمًا، فلما كان عند إفطاره، سألهم الماء العذب فلم يعطوه، فنام ولم يفطر، فلما كان وقت السحر أتيتُ جارات لي على أجاجير متصلة، فسألتهم الماء العذب، فأعطوني كوزًا من ماء، فأتيته فحركته فاستيقظ، فقلت: هذا ماء عذب، فرفع رأسه فنظر إلى الفجر، فقال: إني قد أصبحت صائمًا، وإن رسول الله ﷺ اطلع علي من هذا السقف ومعه ماء عذب، فقال: اشرب يا عثمان! فشربت حتى رويت، ثم قال: ازدد، فشربت حتى نهلت، ثم قال: إن القوم سينكرون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، وإن تركتهم أفطرت عندنا. قالت: فدخلوا عليه من يومه فقتلوه».

وعن العلاء بن الفضيل، عن أبيه، قال: «لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فتشوا خزانته، فوجدوا فيها صندوقًا مقفلًا ففتحوه، فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها: هذه وصية عثمان، بسم الله الرحمن،عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، عليها نحيا، وعليها نموت، وعليها نبعث إن شاء الله تعالى».

س: وكيف كانت وفاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟

ج: عن الشعبي، قال: «لما ضرب علي رضي الله عنه تلك الضربة، قال: ما فُعل بضاربي؟ قالوا: أخذناه، قال: أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها، ثم أوصى الحسن أن

يغسله وقال: لا تغالي في الكفن، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سلبًا سريعًا، امشوا بي بين المشيتين لا تسرعوا بي، ولا تبطئوا، فإن كان خيرًا عجلتموني إليه، وإن كان شرًا ألقيتموني عن أكتافكم».

وروي أنه لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة فقام يمشي وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك

ولا تجزع من الموت وإن حل بناديك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه عبد الرحمن بن ملجم فضربه».

س: اذكر بعض ما نقل عند موت بعض من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم؟

ج: لما نزل الموت بالحسن بن علي رضي الله عنهما قال: «أخرجوا فراشي إلى صحن الدار، فأخرج فقال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإني لم أصب بمثلها».

وروي أن معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة قال: «انظروا هل أصبحنا؟ فأتى فقيل: لم تصبح، حتى أتي في بعض ذلك، فقيل له: لقد أصبحنا، فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، ثم قال: مرحبًا بالموت زائر مغيب، وحبيب جاء على فاقة، والله إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لطول ظمأ الهواجر، وقيام الليل الشتاء، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر».

وقال أبومسلم: «جئت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه ويقول: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه؟ ثم قبض رحمه الله».

وبكى سلمان الفارسي عند موته، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «عهد إلينا رسول

الله ﷻ أن يكون زاد أحدنا كزاد الراكب، وحولي هذه الأزواد، وقيل: إنما كان حوله إجانة رجفنة ومطهرة».

وروى المزني قال: «دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلًا، وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، ولكأس المنية شاربًا، وعلى الله واردًا، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنئها، أم إلى النار فأعزيها، ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني بعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما»

قيل: كان أبوالدرداء ﷺ يقعد إلى القبور، فقيل له في ذلك، فقال: «أجلس إلى قوم يذكروني معادي، وإن غبت لم يغتابوني».

وقال ميمون بن مهران: «خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة، فلما نظر إلى القبور بكى، ثم أقبل علي فقال: يا ميمون، هذه قبور آبائي بني أمية، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلاث، واستحكم فيهم البلاء، وأصاب الهوام مقيلًا في أبدانهم؟ ثم بكى وقال: والله ما أعلم أحدًا أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد أمن من عذاب الله تعالى».

س: ما حكم زيارة القبور؟

ج: تستحب زيارة القبور، فإن النبي ﷺ قال: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة» [أخرجه مسلم (٩٧٦)].

س: ما هي حقيقة الموت؟

ج: الذي تدل عليه الآيات والأخبار أن حقيقة الموت، هو مفارقة الروح للجسد، وأن الروح تكون بعد ذلك باقية، إما معذبة أو منعمة، فإن الروح قد تتألم

بنفسها بأنواع الحزن والغم، وتتنعم بأنواع الفرح والسرور من غير تعلق لها بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها، يبقى معها بعد مفارقة الجسد، وكل ما هو لها بواسطة الأعضاء يتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد. ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر، ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث، والله سبحانه أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده.

فمعنى الموت انقطاع تصرف الروح عن البدن، وخروج البدن عن أن يكون آلة لها، وسلب الإنسان عن أمواله وأهله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم، فإن كان له بالدنيا شيء يفرح به، ويستريح إليه، عظمت حسرته عليه بعد الموت، وإن كان لا يفرح إلا بذكر الله تعالى والأنس به، عظم نعيمه وتمت سعادته إذا خلي بينه وبين محبوبه، وقطعت عنه العوائق والشواغل، لأن جميع شواغل الدنيا شاغلة عن ذكر الله تعالى.

وينكشف للميت بالموت ما لم يكن مكشوفًا في حال الحياة، كما ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفًا له عند النوم، والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، وأول ما ينكشف له ما يضره وما ينفعه من حسناته وسيئاته، وقد كان ذلك مسطورًا في كتاب مطوي في سر قلبه، وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا، فلما انقطعت انكشف له جميع أعماله، فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسرًا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة، وكل ذلك ينكشف له عند الموت، وهذه آلام تهجم على العاصي قبل الدفن، نسأل الله العافية. ومما يدل على أن الروح لا تنعدم بالموت، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. قال مسروق: «**سألنا عبد الله بن مسعود** ﷺ **عن هذه الآية فقال: أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل**» [أخرجه مسلم (١٨٨٧)]. وذكر تمام الحديث. وجاء في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ

أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. أخبر أنهم يعذبون بعد الموت. وفي الصحيحين عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم إذا مات، عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**» [أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦)]. وقد تقدم أن الإنسان إذا انكشفت له سيئاته تحسر لها وتألم تألمًا عظيمًا، فأما المؤمن، فقال عبد الله بن عمر: «**مثل المؤمن حين تخرج نفسه مثل رجل كان في سجن فأخرج منه، فهو يتفسح في الأرض، ويتقلب فيها**».

وهو كلامٌ صحيح، فإن المؤمن ينكشف عليه عقيب الموت من فضل الله وكرامته ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن، فيكون كمحبوس في بيت مظلم فتح له بابٌ إلى بستان واسع الأكناف، فيه أنواع الأشجار، فلا يسره الرجوع إلى الدنيا كما لا يسره العود إلى بطن أمه. وقال مجاهد: «**إن المؤمن ليبشر بصلاح ولده من بعد لتقر بذلك عينه**».

القبر

س: اذكر بعض ما ورد في ذكر القبر وضمته؟

ج: وعن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقولان: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله ﷻ به مقعدًا في الجنة. قال رسول الله ﷺ: فيراهما جميعًا. وأما الفاجر أوالمنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين**» أخرجاه في «الصحيحين» [أخرجه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)].

وفيهما من حديث أسماء بنت أبي بكر عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل - أوقال قريبًا من - فتنة المسيح الدجال، يقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسول . . .** » [أخرجه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥)]. وذكر باقي الحديث.

وعن ابن عباس قال: لما أخرجت جنازة سعد بن معاذ وسوينا عليها، التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**ما من أحد من الناس إلا وله ضغطة في قبره، ولوكان منفلتًا منها أحد لانفلت سعد بن معاذ**» [أخرجه أحمد (٢٣٧٦٢)، (٢٤١٤٢)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢١٨٠)]. وذكر باقي الحديث. قال كعب: «**إذا وضع الرجل الصالح في قبره، احتوشته أعماله الصالحة: الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والصدقة. قال: وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة: إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه، فقد أطال بي القيام لله ﷻ، قال: فيأتونه من قبل رأسه، فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال بي الصيام. قال: فيأتونه من قبل جسده، فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه، فقد أنصب نفسه، وأتعب بدنه، وحج وجاهد لله ﷻ، لا سبيل لكم عليه.**

فيأتونه من قبل يديه، فتقول الصدقة: كم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وضعت في يد الله ابتغاء وجهه، فلا سبيل لكم عليه. قال: فيقال له: هنيئًا طبت حيًا، وطبت ميتًا. قال: وتأتيه ملائكة الرحمة، فتفرشه فراشًا من الجنة ودثارًا من الجنة، فيفسح له في قبره مد بصره، ويؤتى بقنديل من الجنة يستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره».

وقال المروزي: «**رأيت أحمد بن حنبل في النوم في روضة، وعليه حلتان خضراوان، وعلى رأسه تاج من النور، وإذا هو يمشي مشية لم أكن أعرفها له، فقلت: يا أحمد! ما هذه المشية التي لم أكن أعهدها لك؟ فقال: هذه مشية الخدام في دار السلام. فقلت: وما هذا التاج الذي أراه على رأسك؟ فقال: إن ربي ﷻ أوقفني**

وحاسبني حسابًا يسيرًا، وكساني وحباني وقربني، وأنا أنظر إليه، وتوجني بهذا التاج وقال لي: يا أحمد! هذا تاج الوقار توجتك به، كما قلت: القرآن كلامي غير مخلوق».

س: ما هي أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى حين الاستقرار في الجنة أو النار؟

ج: قد أشرنا إلى أهوال القبر، وأشد من ذلك نفخ الصور والبعث والحساب ونصب الميزان والصراط، وهذه أهوال يجب الإيمان بها، وينبغي تطويل الفكر فيها، وكثيرٌ من الناس لم يتمكن من قلوبهم الإيمان بالآخرة، ولو أن الإنسان لم يشاهد توالد الحيوانات، ثم قيل له: إن صانعًا يصنع من هذه النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المتصور العاقل المتكلم، لاشتد نفور طبعه عن التصديق بذلك، فخلقه عليما فيه من الأعاجيب، يزيد على بعثه وإعادته. وكيف ينكر ذلك - من قدرة الله تعالى وحكمته - من يشاهد البداية؟ فإن كان في إيمانك ضعف، فقو الإيمان بالنظر في النشأة الأولى، فإن الثانية مثلها وأسهل منها، وإن كنت قوي الإيمان بها، فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار، وأكثر فيها التفكر والاعتبار، وليحثك ذلك على الجد والتشمير. وأول ما يقرع أسماع الموتى صوت إسرافيل حين ينفخ ذلك في الصور. فصور نفسك وقد قمت ذاهلًا مبهوتًا شاخصًا نحو النداء. قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد حنى جبهته، وأصغى بسمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ في الصور فينفخ؟!**» قال المسلمون: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وتوكلنا على الله**» [أخرجه أحمد في مسنده (٣٠٠١)، والترمذي (٢٤٣١)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٠٧٨)].

ثم انظر كيف يحشر الناس يوم القيامة، فيساقون بعد البعث حفاة عراة إلى أرض

المحشر، وهي قاع ليس فيها ربوة يختفي الإنسان بفنائها. وفي «الصحيحين» قال النبي ﷺ «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي**» [أخرجه البخاري (٦٥٢١)]. ثم تفكر في ازدحام الناس، وقرب الشمس من رؤوسهم، وشدة العرق، مع ما في القلوب من القلق.

وفي الحديث: «**إن العرق يأخذ الناس على قدر أعمالهم**» [أخرجه مسلم (٢٨٦٤)].

وتفكر يا مسكين في سؤال ربك لك عن أعمالك بغير واسطة، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان، فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله**».

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل: عن عمره فيما أفناه، وعن عمله فيما عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**» [أخرجه الدارمي في سننه (٥٣٧) والترمذي (٢٤١٧)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٣٠٠)].

وعن صفوان بن محرز قال: كنت آخذًا بيد ابن عمر رضي الله عنهما، **إذ عرض له** رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم: قال: ثم يعطى كتاب حسناته. وأما الكفار والمنافقون، فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾**» [هود: ١٨] [أخرجه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨)]. وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يضرب جسر على جهنم فأكون أول من يجوز؟**» [أخرجه البخاري (٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٢)]. وفيهما أيضًا، عن النبي ﷺ قال: «**يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قالوا: يا رسول الله! ما الجسر؟ قال:**

مدحضة مزلة، عليها خطاطيف وكلاليب وحسك، يمر المؤمنون عليه كالطرف، وكالبرق الخاطف، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا» [أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)].

جهنم

س: اذكر بعض ما ورد في جهنم وأهوالها أعاذنا الله وإياكم منها؟

ج: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنا عند النبي ﷺ يومًا، فسمعنا وجبة، فقال النبي ﷺ: «أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفًا، فالآن انتهى إلى قعرها» [أخرجه مسلم (٢٨٤٤)]. رواه مسلم.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا، كلها مثل حرها» [أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (١٨٣)].

وفي أفراد مسلم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بجهنم يؤمئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» [أخرجه مسلم (٢٨٤٢)]. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «يلقى على أهل النار الجوع، فيعدل عندهم ما فيه من العذاب، فيستغيثون بالطعام، فيغاثون بالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصة بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيغاثون بالحميم، ينالونه بكلاليب من حديد، فإذا دنا منهم شوى وجوههم، وإذا دخل بطونهم قطع ما في بطونهم، فيطلبون إلى خزنة جهنم: أن: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فيجيبونهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٤٩] فيقولون:

سلوا مالكًا، فيقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ **فيقول** ﷻ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٧ - ١٠٨]. **فعند ذلك ييأسون من كل خير، ويأخذون في الشهيق والويل والثبور»**.

«وتفكر في حياتها وعقاربها كالبغال الموكفة». وعن الحسن: «**أن النار تأكلهم كل يوم سبعين ألف مرة ثم يعودون كما كانوا**».

واعلم: أن صفة جهنم تطول، وأيسر اليسير من **ذلك** ينبغي أن يكفي في التخويف، **فإن** كنت مؤمنًا بهذا فانتبه لنفسك، وخف ما بين يديك، فإن الله لا يجمع على عبد خوفين، ولسنا نعني بالخوف رقة النساء فتبكي ساعة ثم تترك العمل، وإنما نريد خوفًا يمنع عن المعاصي، ويحث على الطاعة. فأما خوف الحمقى الذين اقتصروا على سماع الأهوال، وأن يقولوا: استعنا بالله، نعوذ بالله، يا رب سلم، وهم مع **ذلك** مصرون على القبائح، والشيطان يسخر بهم كما يسخر ممن قصده سبع ضار وهو إلى جانب حصن، فيقول: أعوذ بالله من هذا، وهو لا يدخل الحصن ولا يبرح مكانه.

الجنة

س: اذكر بعض ما ورد في نعيم الجنة وعظمه نسأل الله العظيم من فضله؟

ج: عن أبي هريرة ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله، **حدثنا** عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: «**لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفني شبابه**» [أخرجه أحمد (١٣٤٠)، والترمذي (٢٥٢٦)، وصححه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» برقم (٥٦٣٠)].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: «**إن الله** ﷻ **قال:**

أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» [أخرجه البخاري (٤٧٧٩) ومسلم (٢٨٢٤)].

وفيهما أيضًا من حديثه عن النبي ﷺ أنه قال: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، وريحهم المسك، ومجامرهم الألوة الألنجوج، أزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعًا في السماء» [أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤)]. وفي رواية أخرى: «لكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم، على قلب واحد، يسبحون الله بكرةً وعشيًا».

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» [أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠)]. وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسى أيضًا عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لخيمة من درة مجوفة، عرضها ستون ميلًا، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن» [أخرجه البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨)].

واعلم: أن الله تعالى ذكر نعيم الجنة مبسوطًا في مواضع من القرآن، ثم جمعه في آيات منها قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] ثم زاد على ذلك بقول: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. وصفات الجنة كثيرة اقتصرنا منها على ما ذكرنا نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهلها ووالدينا ومن نحب.

وأفضل ما ينال في الجنة رؤية الله تعالى. وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قيل: يا رسول الله! هل نرى ربنا؟ فقال: «فهل تضامون في القمر ليلة البدر

ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك» [أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)].

سعة رحمة الله تعالى

س: تحدث عن سعة رحمة الله ﷻ نسأل الله من فضله؟

ج: ليس لنا أعمال نرجو بها العفو، لكن نرجو ذلك من رحمته وكرمه. قال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله ﷻ الخلق، كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي» [أخرجه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١)].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن لله ﷻ مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الإنس والجن والهوام والبهائم، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على أولادها. وأخر تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عبادة يوم القيامة» [أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢)].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم تبارك وتعالى رحيم، من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة أويمحوها الله، ولا يهلك على الله تعالى إلا هالك» [أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١)، والدارمي (٢٧٨٦)، واللفظ له]. وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن عمل سيئة، فجزاء سيئة مثلها أوأغفر، ومن اقترب إلي شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، ومن اقترب إلي ذراعًا اقتربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» [أخرجه مسلم (٢٦٨٧)].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أن رجلًا أذنب ذنبًا فقال: «**أي رب! أذنبت ذنبًا فاغفر لي، فقال تبارك وتعالى: علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبًا آخر فقال: أي رب! عملت ذنبًا فاغفره لي، فقال ﷻ: علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبًا آخر فقال: أي رب! عملت ذنبًا فاغفره لي، فقال: علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب، أشهدكم أني قد غفرت لعبدي، فليعمل ما شاء**» [أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨)]. هذه الأحاديث كلها صحاح.

وفي «الصحيحين» من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبين وإذا امرأة من السبي تسعى، إذ وجدت صبيًا في السبي فأخذته، فألصقته ببطنها، فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا والله. قال: «**لله ارحم بعباده من هذه المرأة بولدها**» [أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤)].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي ذر ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق، وإن زنى وإن سرق! وإن زنى وإن سرق**» ثم قال في الرابعة: «**على رغم أنف أبي ذر**» [أخرجه البخاري (٦٤٤٤)، ومسلم (٩٤)].

وفيهما من حديث عتبان بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله حرم النار على من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**» [أخرجه البخاري (٥٤٠١)، ومسلم (٣٣)]. وفيهما من حديث أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ: أنه قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير وزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة**» [أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣)].

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة لم يبق مؤمن إلا أتي بيهودي أونصراني حتى يدفع إليه فيقال له: هذا فكاكك من النار**» [أخرجه مسلم (٢٧٦٧)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ يستخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل منها مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أوحسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول أحضروه، فيقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة. قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء مع اسم الله ﷻ**» [أخرجه أحمد (٦٩٥٥)، والترمذي (٢٦٣٩)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٧٧٦)].

ونظر الفضيل بن عياض إلى تسبيح الناس وبكائهم يوم عرفة فقال: أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل يسألونه دانقًا، أكان يردهم؟ فقيل: لا، فقال: والله المغفرة عند الله ﷻ أهون من إجابة رجل لهم بدانق!.

وعن إبراهيم بن أدهم قال: خلا لي الطواف في ليلة مظلمة شديدة المطر، فلم أزل أطوف إلى السحر، ثم رفعت يدي إلى السماء. فقلت: اللهم إني أسألك أن تعصمني عن جميع ما تكره. فإذا قائل يقول في الهواء: أنت تسألني العصمة، وكل خلقي يسألني العصمة، فإذا عصمتك فعلى من أتفضل؟

فهذه الأحاديث وغيرها كثير، تبشرنا بكرم الله تعالى وسعة رحمته وجوده. ونحن نرجو من الله سبحانه أن لا يعاملنا بما نستحقه، وأن يتفضل علينا بما هو أهله. ونحن نستغفر الله ﷻ من أقوالنا التي تخالف أعمالنا، ومن كل تَصنع تزينا به للناس،

وكل علم وعمل قصدناه، ثم خالطه ما يكدره، فبكرمه نستشفع إلى كرمه، وبجوده نسأل من جوده، إنه قريب مجيب.

الشفاعة

س: اذكر بعض ما ورد في شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة الصالحين من أمته؟

ج: كن في الدنيا محبًا لرسول الله ﷺ، حريصًا على تعظيم سنته، لعله يشفع فيك في الآخرة، فإن له شفاعة يتقدم فيها على الأنبياء كلهم، ويسأل الله في أهل الكبائر من أمته فينجيهم. واستكثر من الإخوان الصالحين، فلكل مؤمن شفاعة، ولا تحملنك الغرة على التواني وتسمى ذلك رجاء، فإن من رجا شيئًا طلبه، واحترز من المظالم، فإن من كانت عليه مظالم ومات قبل ردها، فإن غرماء يحيطون به في القيامة، فهذا يقول: ظلمني، وهذا يقول: استهزأ بي، وهذا يقول: أساء جواري، وهذا يقول: غشني، فلا خلاص لك من أيديهم، فإذا توهمت الخلاص قيل: لا ظلم اليوم.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون يوم القيامة من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة**» [أخرجه البخاري (٦٥٣٥)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس**»؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**» [أخرجه البخاري]. وعن

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**» [أخرجه مسلم (٢٥٨٢)]. وهذه الأحاديث كلها في الصحاح. فانظر وفقك الله إلى بعد سلامة حسناتك لدخول ما يبطلها من الرياء والغيبة، فإن سلمت أخذها الخصوم، فتيقظ لنفسك، ولا تفرط في أوقاتك، فإن المسكين من آثر لذة متقطعة، واشترى بها عذابًا شديدًا دائمًا. نسأل الله السلامة والتوفيق.

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه